

Hajib bin Zarara Al-Tamimi and his intellectual contributions before Islam

Mr. Barka Abdoulaye Abdelhadi¹, Prof. Ousmane Mahamat Adam², Dr. Mouhamadou Chouibou³

¹ National Higher Institute of Science and Techniques of Abéché | Chad

² Faculty of littérature - Ndjama University | Chad

³ Maroua University | Cameroun

Received:

13/02/2023

Revised:

23/02/2023

Accepted:

08/03/2023

Published:

30/06/2023

* Corresponding author:

binabdoulaye76@gmail.com

Citation: Abdelhadi, B.

A., Adam, O. M., & Chouibou, M. (2023). Hajib bin Zarara Al-Tamimi and his intellectual contributions before Islam. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature*, 2(3), 1 – 8.

<https://doi.org/10.26389/AJSRP.K130223>

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**



This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) [license](https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

Abstract: This study deals with the role of Hajib bin Zarara Al-Tamimi, and his intellectual contributions to the pre-Islamic Arab society. Where he had an active presence in the movement of society, and had many contributions in various fields, and social and literary activities, most notably

1 Al-Hakam: Hajib is considered one of the famous rulers, chiefs, and figures, the most valuable of the Arabs in redemption, and the first ruler to rule over himself. That is when they disagreed about his captivity, they asked him to acknowledge the one who captured him, and he also requested that they rule him in himself, so he made a thousand and a hundred camels as a ransom for him from captivity.

2 - Public Speaking: It is a verbal prose hadith that aims to provoke people's feelings and ignite their emotions with a desire to get what they want. It is a power that involves persuading people as much as possible through the presence of the speaker in front of the audience. The preacher had a great position in that period for his ability to defend his people, and Hajib bin Zarara was worthy of that, when he gave his famous sermon in front of Khosrau, he persuaded him to allow his people to go down in the countryside of Iraq when he prevented them from doing so.

3- Arch of the visor: The arch of the visor is one of the important matters in the history of the Arabs in the pre-Islamic era, as its moral value is not equivalent to its value in that era, because he pawned it at Khosrau, in return for his people descending into the countryside of Iraq. This bow, which accompanies him in his travels, was one of his most precious possessions. Because Hajib knows that the lesson is not in the price of the mortgage, because Khosrau does not need what Hajib has. But the lesson in the value of the arc at the usher himself

Keywords: Hajib bin Zarara – his intellectual contributions – Before Islam.

حاجب بن زرارة التميمي وإسهاماته الفكرية قبل الإسلام

أ. بركة عبد الله عبد الهادي*¹، الأستاذ الدكتور / عثمان محمد آدم²، الدكتور / محمد وشعيبو³

¹ المعهد الوطني العالي للعلوم والتقنيات بابشوة | تشاد

² كلية الآداب | جامعة انجمينا | تشاد

³ جامعة مروا | الكاميرون

المستخلص: تتناول هذه الدراسة دور حاجب بن زرارة التميمي، وإسهاماته الفكرية في المجتمع العربي، قبل الإسلام. حيث كان له حضوره الفاعل في حركة المجتمع، وله إسهامات عديدة في شتى المجالات، والنشاطات الاجتماعية والأدبية ومن أبرزها:

1. الحكم: يعد حاجب، أحد الحكام المشهورين والرؤساء الأعلام، وأعلى العرب فداء، وأول من حكم على نفسه من الحكام. وذلك عندما اختلفوا في أسره، طلبوا منه أن يقر بمن أسره، وطلب هو أيضا أن يحكموه في نفسه، فجعل ألف ومئة ناقة فداء له من الأسر.

2. الخطابة: وهي حديث نثري شفهي، يهدف إلى إثارة مشاعر الناس وإشعال عواطفهم رغبة في الحصول على مرادهم، وأنه كلما كان الإفصاح قويا وعذبا كان وقعته في القلوب أشد وأعمق. وهي قوة تنطوي على إقناع الناس ما أمكن من خلال وقوف المتكلم أمام جمهور السامعين. كان للخطيب مقام كبير في تلك الفترة لمقدرته في الدفاع عن قومه، وكان حاجب بن زرارة أهلا لذلك، عندما قدم خطبته الشهيرة أمام كسرى، أقنعه بها للسماح لقومه بالتزول في ريف العراق عندما منعهم من ذلك.

3. قوس حاجب: تعد قوس حاجب من الأمور الهامة في تاريخ العرب في الجاهلية، حيث أن قيمتها المعنوية لا تعادلها قيمة في ذلك العصر، لأنه رهنا عند كسرى، مقابل أن ينزل قومه ريف العراق، لا شك أنه ما كان ليقدّم شيئا يردّه كسرى. فكانت هذه القوس التي تصحبه في حله وترحاله، من أعلى ما يملك. لأن حاجب يعلم أن العبرة ليست في ثمن الرهن، لأن كسرى ليس بحاجة إلى ما لدى حاجب. لكن العبرة في قيمة القوس عند حاجب نفسه.

الكلمات المفتاحية: حاجب بن زرارة. الإسهامات الفكرية. قبل الإسلام.

المقدمة:

شغل حكام العرب حينها مهما ومؤثرا في الحياة الجاهلية قبل الإسلام، وذلك من خلال تصديهم لفض النزاعات، وإنهاء حالات الصراع، التي كانت تقوم بين الأفراد والجماعات، بل إن كثيرا منهم استطاع منع وقوع مشاجرات وحروب كانت ستشتعل نيرانها لولا تدخل هؤلاء الحكام، والفصل بين الأطراف المتنازعة، والإصلاح بين المتخاصمين والمتنافرين، فحفظوا الدماء التي كانت ستراق، والأرواح التي كانت ستزهق، والأموال التي كانت ستهدر، بسبب منافرة أو خصومة. وتمكنوا بفضل ما يتمتعون به من حكمة، وتجربة ومعرفة وسداد رأي واستنتاج أحكام، تحولت مع مرور الأيام إلى أعراف بدت أشبه بالأحكام التي يسير عليها الجاهليون، وربما كان السبب راجعا إلى غياب شرعة أو دين يحتكمون إليه. فالحاكم هو الذي ينفذ الحكم، وحكام العرب علماؤهم الذين يحكمون بينهم إذا تشاجروا في الفضل والمجد وعلو الحسب والنسب، وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم، وكان لكل قبيلة من قبائلهم حكم يتحاكمون إليه، وهم كثيرون لا يسعهم الحصر.

وكما كان للحكام دور مهم وفعال في فض الخصومات وإطفاء نيران المنازعات بين الناس، فقد كان لبعضهم دور في حل النزاعات الأدبية، وذلك بتصديهم للتحكيم بين الشعراء، كالذي فعله ربيعة بن حذار، عندما جلس للحكم بين الزبيرقان بن بدر، وعمرو بن الأهم (1) وكذلك كما فعل النابغة الذبياني، حيث حكم بين حسان بن ثابت والأعشى والخنساء بنت عمرو بن الشريد. (2)

وكان عدد كبير من حكام العرب زعماء لقبائلهم وكانوا أهل الشرف والسيادة فيها، ومن هؤلاء الحكام: حاجب بن زرارة سيد تميم وزعيمها، وأعلى العرب فداء حتى ضرب به المثل، ف قيل: أغلى فداء من حاجب، وما ذلك إلا لمكانته في قومه. من خلال هذا المقال نتناوله بالبحث والدراسة، فمن هو حاجب بن زرارة التميمي؟ متى نشأ وكيف عاش؟ وما السبب الذي أدى إلى وفادته لكسرى ورهنه قوسه؟ وكيف تم أسر وفداءه نفسه؟ وما هي إسهاماته الفكرية قبل الإسلام؟ كل هذه الأسئلة وغيرها نتطرق لها في ثنايا هذا البحث.

مشكلة الدراسة:

إذ يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- 1- من هو حاجب بن زرارة التميمي؟ متى نشأ وكيف عاش؟
- 2- ما هي إسهاماته الفكرية قبل الإسلام؟

فرضيات الدراسة: تفترض الدراسة:

- 1- إن حاجب بن زرارة فعلا قد ساهم بشكل واضح في حلحلة المشاكل الاجتماعية لقومه في العصر الجاهلي.
- 2- يعد حاجب أحد الحكام المشهورين والرؤساء الأعلام وأعلى العرب فداء، وأول من حكم على نفسه من الحكام.

أهمية الدراسة:

تنبع الأهمية العلمية للدراسة في إبراز الدور الهام الذي قام به حكام العرب في العصر الجاهلي من إصلاح ذات البين في تلك الحقبة المظلمة من التاريخ البشري، وبخاصة أحد حكامها المشهورين حاجب بن زرارة التميمي، الذي ساهم بصورة واضحة في حلحلة مشاكل قومه، وذلك من خلال حكمه وأشعاره وأمثاله التي خلدها لنا تاريخ الأدب العربي.

منهجية الدراسة:

- أ- منهجية التحليل: يسلك الباحث في هذا الموضوع المنهج التكاملي متمثلاً في التاريخي والوصفي، حيث يقوم الباحث بإلقاء الضوء على أحد حكام العرب المشهورين. حيث أنهم شغلوا حيزاً مهماً ومؤثراً في الحياة الجاهلية قبل الإسلام، وذلك من خلال تصديهم لفض النزاعات، وإنهاء حالات الصراع، التي كانت تقوم بين الأفراد والجماعات، والفصل بين الأطراف المتنازعة، والإصلاح بين المتخاصمين والمتنافرين، فحفظوا الدماء التي كانت ستراق، والأرواح التي كانت ستزهق، والأموال التي كانت ستهدر، بسبب منافرة أو خصومة.
- ب- مصادر البيانات: استمد الباحث دراسته من عدد من المصادر، والمراجع، منها: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، وكتاب المحبر، لأبي جعفر محمد بن حبيب. والعقد الفريد لابن عبد ربه. وغيرهم من المصادر.
- ج- حدود الدراسة: إن حدود البحث تدور حول حياة حاجب بن زرارة التميمي وما قدمه من نتاج أدبي: من حكم وخطابة، تصب في إصلاح ذات البين بين قومه وعشيرته. وكذلك قصة قوسه التي رهنها عند كسرى.

هيكلية الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول منها: حياة حاجب ونشأته، ولقائه مع كسرى ورهنه قوسه. بينما يتطرق المبحث الثاني إلى النتاج الأدبي لحاجب من شعر وخطابة. أما المبحث الثالث والأخير فيتطرق إلى نهاية حاجب حيث أنه أسروفاً نفسه، ومن ثم وفاته.

المبحث الأول- حاجب بن زرارة التميمي

1- حياته ونشأته:

هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي، (3) ويكنى (بأبي عكرشة) كان سيد بني تميم في الجاهلية بلا منازع، وقائدهم في عدة مواطن، وأبعدهم صيتاً، وأخلدهم ذكراً، وأوسعهم حلماً. وله معرفة تامة بأخبار العرب وأحوالها وأنسائها، وكان من مشاهير فصحاء زمانه وبلغائهم. ومن المعروفين بالوفاء بين العرب. كان حاجب سيداً كريماً وزعيماً كبيراً من زعماء العرب، وأحد الحكام المشهورين، والرؤساء الأعلام. وهو الذي يعنيه الفرزدق بقوله:

ومنا الذي أحيأ الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والأقارع (4)

وقد اعترف عامر بن مالك وهو من خصوم بني تميم بمنزلة حاجب في قومه، فقال:

ألكني إلى المرء الزراري حاجب رئيس تميم في الخطوب الأوائل

وفارسها في كل يوم كرهية وخير تميم بين حاف وناعل

وذكر الميداني حكام تميم في الجاهلية، فقال: (كانت حكام تميم في الجاهلية: أكثم بن صيفي، وحاجب بن

زرارة، والأقرع بن حابس، وربيعة بن مخاشن، وضمرة بن ضمرة. غير أن ضمرة حكم فأخذ رشوة فغدر). (5)

كان زرارة - والد حاجب - شريعاً في قومه، معروفاً بالحكمة والرأي السديد، فكان بنو تميم يرجعون إليه في

القضاء وفضي الخصومات، وكان يقود قومه ومن حالقهم في الحروب والغارات. وقد جعل الشعراء من بني تميم فيما

بعد يُفاخرون بانتسابهم إلى زرارة ويذكرونه في أشعارهم، فمن ذلك قول عمرو بن الأهتم يصف كرم آبائه وأحواله:

نَمْتَنِي عُرُوقٌ مِنْ زُرَّارَةَ لِلْعُلَا وَمِنْ فَدَكِي وَالْأَشَدِّ عُرُوقٌ

ومن ذلك قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زارة محتب بفنائنه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

ولما كان يوم (شُعْب جَبَلَة) قُتِلَ أخوه لقيط وأُسِرَ حاجب، فلم يكن أحدٌ ممَّن يحضر سوق عكاظ أعلى فداءً من حاجب؛ فقد فدى نفسه واستخلصها من الأسر بألفٍ ومائة ناقة. وتعرض لأُسره في الفقرة السادسة من هذا المقال. ولعلَّو المكانة التي كان حاجب يحتلُّها في قومه، فقد رُوي أنَّه كان واحداً من أربعة أشراف من بيوتات العرب اجتمعوا في بلاط كسرى للتفاخر وذكر المآثر، فوقف يُمثِّل بني تميم أمام الحَكَّام العدول. غير أنَّ الوفاء كان من أبرز الخصال التي خلَّدت ذكر حاجب على مَرِّ العصور والأزمان. ولهذه الخصلة، قصَّة عُرفَت بقصَّة قوس حاجب.

2- لقاء حاجب مع كسرى ورهنه قوسه:

جاء في خزنة الأدب أن حاجب بن زارة وفد على كسرى لما منع تميما من ريف العراق، فاستأذن عليه، فأوصل إليه، فقال: أسيد العرب أنت؟ قال: لا. قال: فسيد مضر؟ قال: لا. قال: فسيد بني أبيك أنت؟ قال: لا. ثم أذن له فدخل عليه. قال: من أنت؟ قال: سيد العرب! قال: أليس قد أوصلت إليك: أسيد العرب أنت؟ فقلت: لا. حتى اقتصرت بك على بني أبيك، فقلت: لا؟ قال له: أيها الملك: لم أكن كذلك حتى دخلت عليك، فلما دخلت عليك صرت سيد العرب. قال كسرى زه: . بمعنى أحسنت، دليل على الإعجاب . املأوا فاه درا. ثم قال: إنكم معشر العرب غدر، فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد، وأغرتم على العباد وأذيتموني. قال حاجب فإني ضامن للملك ألا يفعلوا. قال: فمن لي بأن تفي أنت؟ قال: أرهنك قوسي. فلما جاء بها ضحك من حوله. وقالوا لهذه العصى يفي! قال: كسرى ما كان ليسلمها لشيء أبدا. فقبضها منه. وأذن لهم أن يدخلوا الريف. (6) ويقال إن كسرى قال له: إن قوسك لقصيرة معوجة. فقال حاجب: إن تكن قوسي قصيرة معوجة، فإن وفائي طويل مستقيم. فقضت مضر شهورا جنوب العراق حتى دعاهم حاجب إلى الانصراف، فانصرفوا. ف قيل في حاجب: أوفى العرب. وإلى هذه القوس أشار أبو تمام وهو يمدح أبا دلف العجلي الذي اشترك قومه مع بني شيبان في دحر الفرس يوم ذي قار بقوله: (7)

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها فخارا على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذني قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

لماذا اختار حاجب بن زارة قوسه دون أي شيء آخر؟ لا شك أنه ما كان ليقدم شيئا يرده كسرى. فكانت هذه القوس التي تصحبه في حله وترحاله، من أغلى ما يملك. فقد علم أن العبرة ليست في ثمن الرهن، لأن كسرى ليس بحاجة إلى ما لدى حاجب. لكن العبرة في قيمة القوس عند حاجب نفسه. فهل ظن حاجب أنه يسترد قوسه، ربما كان على يقين من ذلك. إلا أنه لم يستردها حقيقة، بل وافته المنية وقوسه ما زالت مرهونة. فقدم ابنه على كسرى واستوفاهها منه

إن هذه القوس التي يتوكأ عليها العربي حين يخطب، ويلبسها حلية له وهو على فرسه، وتكون صاحبة له في الصيد والحرب، في زمن الرخاء والشدة، تعلق قيمتها المعنوية على قيمتها المادية. وقبول كسرى بها دليل على أنه أدرك هذا المفهوم. فقد تحولت هذه القوس بعد رهنها من حالتها المادية ذات الوظيفة المعروفة، إلى حالة رمزية تشير إلى حدث انتقال قبائل العرب المضرية إلى الشمال. فكما أن حاجب تنبأ أنه يسود العرب بدخوله على كسرى، كذلك كانت قوسه. فقيمتها قبل رهنها لا تساوي قيمتها بعد ذلك.

3- سبب وفود حاجب إلى كسرى:

كان بنو تميم معتدين بأنفسهم لكثرة عددهم ولشوكتهم، فكانوا لا يكتفون بالمراعي التي خصهم كسرى بها، بل يعتدون على المراعي الخاصة بغيرهم. من أجل ذلك منع كسرى بني تميم من ارتياد ريف العراق كله، فأخذهم القحط وكادوا يهلكون. (8) وقيل إن السبب في وفود حاجب بن زارة إلى كسرى، هو أن النبي صل الله عليه وسلم كان دعا على مضر وقال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر، وابعث فيهم سنين كسني يوسف)) فتوالت الجدوبة عليهم سبع

سنين، فلما رأى حاجب الجهد على قومه، جمع بني زرارة وقال: إني أزمعت على أن أت الملك، يعني كسرى، فأطلب أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يحيوا. فقالوا: رشدت فافعل. غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل. فقال ما منهم وجه إلا ولي عنده يد، إلا ابن الطويلة النسي وسأدويه، ثم ارتحل يتنقل حتى انتهى إلى الماء الذي عليه ابن الطويلة، فنزله ليلاً، فلما أضاء الفجر دعا بنطع، ثم أمر فصب عليه التمر، ثم نادى: حي على الغداء. فنظر ابن الطويلة، فإذا هو بحاجب، فقال: لأهل المجلس أجيبوه. وأهدى إليه جزراً، وبهذا تخطى شر ابن الطويلة، ثم ارتحل حتى بلغ كسرى. (9)

المبحث الثاني- النتاج الأدبي لحاجب:

1- خطبة حاجب:

تعد الخطابة إحدى وسائل التعبير العامة، التي يحاول من خلالها المتحدث استمالة السامعين وإقناعهم بوجهة نظره. لذا فإنه يعتمد إلى اختيار الكلمات المؤثرة، والصيغ التي تجد صدى قويا في نفوس جمهور المستمعين. كاستعمال الحكم الماثورة، والأشعار المثيرة للمشاعر والأفكار. ويعتبر حاجب أحد الخطباء البارعين في هذا المجال. يعتبر حاجب بن زرارة أحد الأشراف الذين وفدوا إلى كسرى مع النعمان ابن المنذر، وهو أنه قال الملك كسرى للنعمان في أحد الأيام: هل في العرب قبيلة تتشرف على قبيلته؟ قال نعم. قال: فبأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متواليه رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع. فالبيت من قبيلته فيه وينسب إليه، قال فاطلب ذلك، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر، وآل حاجب بن زرارة، وآل ذا الجين، وآل الأشعث بن قيس بن كندة. فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم، وأقعد لهم الحكام والعدول، وقال: ليتكلم كل منكم بمآثر قومه وليصدق. وهذه المناسبة قام حاجب بن زرارة أمام كسرى فقال:

(قد علمت العرب أنا فرع دعامتها وقادة زحفها، لأنا أكثر الناس عديداً، وأنجهم طرا وليداً. وإنا أعطاهم الجزيل وأحملهم للثقل). (10) ثم أكمل حاجب خطبته عند كسرى في المدائن يفتخر بالعرب فقال:

(ورى زندك، وعلت يدك، وهيبك سلطانك. إن العرب أمة قد غلظت أكبادها واستحصدت مرتها، ومنعت درتها، وهي لك وامقة ما تألفتها، مسترسلة ما لايتها، سامعة ما سامحتها، وهي العلقم مرارة، والصاب غضاضة، والعسل حلاوة، والماء الزلال سلاسة. ونحن وفودها إليك، وألستها لديك، ذمتنا محفوظة، وأحسابنا ممنوعة، وعشائنا فينا سامعة مطيعة، إن نؤب، لك حامدين خيرا، فلك بذلك عموم محمدينا، وأن نذم لم نخص بالذم دونها). قال كسرى: يا حاجب ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها، قال حاجب: بل زئير الأسد بصولتها. قال كسرى وذلك. (11)

2- شعر حاجب:

لم يكن لحاجب بن زرارة شعر يذكر، كغيره من حكام العرب المشهورين، كأكثم بن صيفي، وأميه بن الصلت التميمي، والحارث بن عباد البكري وغيرهم، ولم يكن له ديوان شعر على غرار ما كان لبعضهم، بل كانت له نتف من الشعر متفرقة في ثنايا الكتب، إلا أنه لو لم يكن له إلا خطبته التي ألقاها أمام كسرى لكفته منقبة يفتخر بها أيد الدهر، لأنه بهذه الخطبة استطاع أن يحل كارثة كادت أن تؤدي بقومه. ومن شعره أبيات يفتخر بها حاجب بقبيلته تميم، بين وفود القبائل في بلاط الحيرة قائلاً:

لقد علمت أبناء خندف أننا	لنا العز قدما في الخطوب الأوائل
وأنا كرام أهل مجد وثروة	وعز قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد	أغر نجيب ذي فعال ونائل

فسائل أبيت اللعن عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل
وكذلك يفتخر أيضا في أبيات أخرى بقومه حيث يقول:
ومنا ابن ماء المزن وابن محرق إلى أن بدت منهم بجير وحاجب
ثلاثة أملاك ربوا في حجورنا جميعا ومنا الفخر ما هو كاذب (12)
وأنشد أبو عبيدة في أمثاله لحاجب بن زرارة، الأبيات التالية يفتخر فيها بنفسه، ويشيد بأخلاقه العالية
أمام خصمه قائلا:

أغركم أني بأحسن شيمة رفيق وأنني بالفواحش أخرق
وأنتك قد فاحشتني فغلبتني هنيئا مريئا أنت بالفحش أخرق
ومثلي إذا لم يُجَزَّ أفضلَ سعيه تكلم نعماه بفيه فتنطق (13)

المبحث الثالث – نهاية حاجب

1- أسر حاجب وفداء نفسه:

كان لقيط بن زرارة سيد بني تميم – أخو حاجب بن زرارة - قد عزم على غزو بني عامر للأخذ بثأر أخيه
معبد بن زرارة، الذي قتله بنو عامر في يوم من أيامهم. حيث أنه جرح وأسره بنو عامر بن صعصعة، في (رحرحان) وهي
أرض بقرب عكاظ، وكان واسع الثروة فطلب من أخيه حاجب أن يفديه من الأسر بمئتين من الإبل، ورضي العامريون
بذلك. ولكن حاجبا قال إن أبانا زرارة نهانا أن نزيد على مائة، دية مضر. فعمدوا إلى معبد فشدوا عليه القيد، وبعثوا
به إلى الطائف فلم يزل بها إلى أن مات. (14)

سار بنو تميم في رؤسائهم: حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو، والحارث بن شهاب ومعهم
أحلافهم وتبعهم غثاء من الناس يريدون الغنيمة، وتم لهم جمع لم يكن في الجاهلية أكثر منه. فلم تشك العرب في
هلاك بني عامر. ولما سمعت بنو عامر بمسيرهم،

وأيقنوا أن لا طاقة لهم بمواجهة القوم المتحزبين وكان الأحوص بن جعفر الكلابي هو زعيمهم وقائدهم.
فأشار عليهم قيس بن زهير العبسي بأن يأخذوا النساء والذراري والمتاع والأنعام ويتحصنوا بها في شعب جبله. وجبله
جبل عظيم له شعب عظيم واسع لا يؤتى الجبل إلا من قبل الشعب. وأمر بالإبل أن تعطش وتعقل وتقيد بالحجارة
الكبيرة. وأن تكون الإبل في مقدمة الشعب ويستتر خلفها الرماة والمقاتلون. وأمرهم إذا غشاهم القوم أن يطلقوا قيود
الإبل ثم ينخسوها بالعصي والرماح لتنتقل في اتجاه القوم المتحزبين الذين يقفون في طريقها إلى الماء فتدكهم الجمال
والحجارة ثم يأتي دور المقاتلين من خلفهم فيرمونهم بالسهم والنبل والحجارة ويتعقبون فلولهم المدعورة بالسيوف.
وقد كانت هذه الفكرة هي الملجأ لهم حينما ضاقت الأرض عليهم بما رحبت. فطبقت الخطة وحدثت مذبحه عظيمه
للمتحزبين بزعامه ذبيان. فدكتهم الإبل والحجارة وأجهز عليهم المقاتلون من بني عامر وعيس. حتى أنها كانت كفيلة
بنهاية حرب ضروس بينهما ولم تقم القائمة لذبيان بعدها على عيس. حتى أن بنو تميم قالوا لأول مرة نرى الإبل تقاتل
مع أصحابها. (15)

كثرت القتلى في تميم وكان أول من قتل من رؤسائهم: عمرو بن الجون، وأسر معاوية بن الجون، وعمرو بن
أبي عمرو بن عدس، زوج دخنتوس بنت لقيط، وأسر حاجب بن زرارة، وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا
عنه فاجتمع إليه نفر يسير فتحرز برايته فوق جرف ثم حمل فقتل فهم ورجع وصاح: أنا لقيط وحمل ثانية فقتل
وجرح وعاد فكثرت جمعه فانحط الجرف بفرسه وحمل عليه عنتره فطعنه طعنة قصم بها صلبه وضربه قيس بالسيوف
فألقاه متشحطا في دمه فذكر ابنته دخنتوس فقال:

يا لبت شعري عنك دخنتوس إذا أتاه الخبر المرموس

أتخلق القرون أم تميمس لا بل تمس إنها عروس

وقال جرير في هذه الحادثة:

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا وعمرو بن عمر إذا دعا بالدارم
ويوم الصفا كنتم عبيدا لعامر وبالجزن أصبحتم عبيد اللهازم

وقال أيضا:

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا كأن عليه حلة أرجوان
وكبل حاجب بشمام حولاً فحكّم ذو الرقيبة وهو عان (16)

يعتبر حاجب بن زرارّة أغلى العرب فداء، وأول من حكم في نفسه من الحكام. وذلك أنه لما أسرف في يوم شعب جبلة، وتنازع عليه الزهمدان مع مالك ذي الرقيبة بن سلمة القشيري، فلم يبرحوا حتى حكموا حاجبا في ذلك. فقالوا: من أسرك يا حاجب؟ فقال: أما من ردي عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى مني عورة فتركها، فالزهمدان. وأما الذي استأسرت له فمالك، فحكّموني في نفسي. قال له القوم: قد جعلنا إليك الحكم في نفسك. فقال: أما مالك، فله ألف ناقة. وللزهمدين مائة. وقد صرح بهذا الأسر أصم باهلة في قوله:

حتى افتدوا حاجبا منا وقد جعلت سمر القيود برجلي حاجب أثرا
بألف عبد وألفي رائم جعلوا أولادهم كقاض لؤمهم جزرا
وفي ذلك يقول الفرزدق مفتخرا أيضا:

وما علم الأقبام مثل أسيرنا أسيرا ولا أجدافنا بالكواظم
ترى كل مظلم إلينا فراره ومهرب منا جهده كل ظالم
أبت عامر أن يأخذوا بأسيرهم مئين من الأسرى لهم عند دارم
وقالوا لنا: زيدوا عليهم فإننا لفاء وإن كانوا ثغام اللهازم
رأوا حاجبا أغلى فداء وقومه أحق بأيام العلى والمكارم
فلا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم (17)

2- وفاة حاجب:

ذكر أبو حاتم في الإصابة أن النبي صل الله عليه وسلم، بعث حاجبا على صدقات قومه، ولم يلبث أن مات، فخرج بعد ذلك عطارذ بن حاجب، والزبيرقان بن بدر، وقيس بن عاصم وحابس بن الأقرع، حتى قدموا على النبي صل الله عليه وسلم. فكان من مفاخرتهم ما كان. (18)

إن حاجب بن زرارّة لم يسترد قوسه التي كانت مرهونة عند كسرى، بل وافته المنية وقوسه ما زالت مرهونة. فقدم ابنه عطارذ بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه، فقال له ما أنت الذي رهنتها، قال: أجل. قال: فما فعل؟ قال: هلك وهو أبي، وقد وفي له قومه، ووفى هو للملك، فردها عليه، وكساه حلة. إكراما له واعترافا بوفاء أبيه، فصار ذلك الوفاء فخرا ومنقبة لحاجب وعشيرته. فلما وفد إلى النبي صل الله عليه وسلم عطارذ بن حاجب وهو رئيس تميم، وأسلم على يديه، أهداها للنبي صل الله عليه وسلم فلم يقبلها. فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم. (19) وقيل إن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها لوفود العرب وللعيد، فقال: إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة. وقد ارتد عطارذ مع من ارتد من بني تميم بعد النبي وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام. (20)

مناقشة النتائج

تشير نتائج دراسة إلى أن حاجب بن زرارة التميمي، أنه أحد حُكَماء العرب، وحكامهم المشهورين، الذين تميزوا بالحنكة وسداد الرأي، وإنه كان شخصية متميزة في المجتمع الجاهلي، من خلال ما يمتلكه من أفكار وحكم، انعكست بمجملها على الحياة العامة لمجتمعه، حتى غدت ترددتها الألسن، الأمر الذي أمد تراثنا الإنساني بعطاء من القيم الخلقية والانسانية. وإن مبادرته لوفوده إلى كسرى للتوسط لقومه ما هي إلا دليل واضح لسداد رأيه وحسن تدبيره للأمور. ونتيجة لذلك استحق الدراسة والبحث. بالإضافة إلى ذلك إن بدراستنا لهذه الشخصيات الأدبية، نستطيع من خلالها أن ننقل للأجيال القادمة، أهمية الخطب التي تتضمن الحكم والأمثال. في حلحلة القضايا الاجتماعية وإرساء دعائم الأمن والسلام بين الشعوب، في ذلك العصر الجاهلي، وما زال لها دورها الفعال إلى اليوم.

التوصيات: بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها توصي الدراسة بالتالي:

1- دراسة الأدب العربي دراسة مستفيضة من شعر ونثر وخطابة وحكم وأمثال. لأنه مصدر أساسي لتهذيب النفوس وتربيتها. فهو يساعد في تنمية النوازع الكريمة لدى الناس،

قائمة المراجع

أولاً- المراجع بالعربية

- 1- جواد، علي: كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، بيروت، ج2، 1968، ص861.
- 2- الذبياني، النابغة: ديوان النابغة الذبياني، شرح، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص4.
- 3- ابن حبيب، أبو جعفر محمد: كتاب المحبر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 2009، ص134.
- 4- الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص360.
- 5- الميداني، أبي الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة السنة المحمدية، ج1، 1955، ص39.
- 6- ابن عبد ربه، الفقيه أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، ج1، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص287.
- 7- البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزنة الأدب، ج1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الهاشي، القاهرة، 1979، ص354.
- 8- فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981م، ص174.
- 9- البغدادي، خزنة الأدب، ج1، مصدر سبق ذكره، ص355.
- 10- صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، مصر، ط1، 1923، ص13.
- 11- صفوة، جمهرة خطب العرب، المصدر السابق، ص22.
- 12- العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص657.
- 13- الأندلسي، ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج1، تحقيق الدكتور نصرت عبد الرحمن، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1982، ص451.
- 14- جاد المولى بك، محمد أحمد وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العظيمة، صيدا، بيروت، 1961، ص350.
- 15- الأصفهاني، أبي فرج علي بن الحسين: كتاب الأغاني، ج11، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1994، ص92.
- 16- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، مصدر سبق ذكره، ص12.
- 17- ديوان الفرزدق، مصدر سبق ذكره، ص616.
- 18- الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، مصدر سبق ذكره، ص349.
- 19- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، مصدر سبق ذكره، ص287.
- 20- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، مصدر سبق ذكره، ص859.